﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [الكهف: 37 - 38]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لما قَبْلَهُما:

تكملةُ بعضِ مشاهدِ القصّةِ، بإبطالِ الرَّجُلِ المُؤْمِنِ لمقالَةِ السّوءِ

بَعْدَ أَن حَكى اللّهُ تعالى مقالَةَ الرَّجُلِ الكافِرِ، ودَعْواهُ اسْتِحْقاقَ العَطاءِ في الآخِرَةِ عَلى فرْضِ قيامِ السّاعةِ، وكانَتْ هذه المَقالَةُ في غايَةِ البُطلانِ؛ أَوْرَثَ ذلكَ سُؤالًا وهوَ: ما كانَ رَدُّ صاحِبِه المُؤْمِنِ عليْهِ؟ فجاءَ الجَوابُ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿صَاحِبُهُۥ﴾: (صحب) تدلُّ تصريفاتُها على مقارنَةِ شيءٍ ومقارَبَتِه[2]، ومِنْهُ الصّاحبُ، وهوَ المُلازِمُ، سواءٌ أكانَ إنْسانًا أم حَيوانًا أم مَكانًا أم زَمانًا، مِنْ غيرِ فرْقٍ بَيْنَ أَنْ تَكونَ مُصاحَبَتُه بالبَدَنِ - وهوَ الغالِبُ والأصلُ - أَوْ بالعِنايةِ والهِمَّةِ[3]، وقولُ اللّه سُبحانَه: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ المرادُ به الرَّجُلُ الذي كَثُرَت مُلازَمَتُه له، وقد ذهَبَ بعضُ أهلِ العِلْمِ إلى أنَّ هذه الصُّحبةَ كانَتْ أُخوَّةً، فقوله: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾ أي: قالَ لَهُ أخوهُ، وفي الأُخوَّةِ مَعْنى المُصاحَبَةِ[4].

2) ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾: (حور) تدلُّ تصريفاتُها على معانٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ وهي: اللَّوْنُ، والرُّجوعُ، ودورانُ شَيْءٍ، فمِنَ الأوَّلِ: حَوَرُ العَيْنِ، وهو

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 59.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صحب).
(3) الرّاغب، المفردات: (صحب).
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 14/ 13.

شدَّةُ بياض العين في شدَّةِ سوادِها، ومِنَ الثّاني: الحَوْرُ وهو الرُّجوعُ، ومِنْهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ﴾ [الانشقاق: 14 - 15]، ومِنَ الثّالِثِ: المِحْوَرُ؛ وهي الخشبَةُ التي تدورُ فيها البكْرَةُ التي يُسْقى بها[1]، والمُحاورَةُ يَجوزُ أَن تكونَ مِنَ الأَصْلِ الثّاني؛ وهوَ الرُّجوعُ، وذلكَ لأنَّ كلًّا مِنَ المُتَحاوِرَيْنِ يَرْجِعُ إلى كلامِ مُحاوِرِه بالجَوابِ[2]، ويَجوزُ أن يَكونَ مِنَ الأصلِ الثّالِثِ وهوَ الدَّورانُ؛ وذلكَ لأنَّ الكلامَ يَدورُ بينَ المُتَحاوِرَيْنِ أَخْذًا ورَدًّا، ومِنْهُ قول اللّهُ تَعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، كما أنَّه يجوزُ أنْ يكونَ من الأصل الأوَّلِ معنًى لا حِسًّا؛ لتلوُّنِ كلامِ المتحاورَينِ ما بينَ خبرٍ وإنشاءٍ وطلبٍ وغير ذلك.

3) ﴿نُّطْفَةٍ﴾: (نطف) تدورُ اشتقاقاتُها على قَطْرِ مائعٍ من وِعائِه بنَحْوِ الرَّشْحِ لوَهْيِه أَو انْدِفاعِه، ومِنْهُ قولُهُم: ليلَةٌ نَطوفٌ؛ إذا كانت قاطِرةً ماطرةً إلى الصَّباحِ، ومِنْهُ النُّطْفَةُ والنَّطافَةُ؛ وهيَ القليلُ مِنَ الماءِ الباقي في القِرْبَةِ، ومِنْهُ سمّيَ المَنيُّ نُطْفَةً[3]؛ وهوَ ماءُ الرَّجُلِ[4]، ويُطْلَقُ أيضًا على ماءِ المرأةِ أنَّهُ مَنيٌّ، والمرادُ بـ ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾: المَنيُّ[5].

4) ﴿سَوَّىٰكَ﴾: (سوي) تدلُّ تصريفاتُها على استقامَةٍ واعتدالٍ بين شَيْئَيْنِ، ومِنْهُ قولُهُم: هَذا لا يُساوي كَذا؛ أَيْ: لا يُعادِلُهُ[6]، ومِنَ الاستقامَةِ قولُهُم: سوّى الشَّيءَ تَسْوِيَةً؛ إذا جعلَهُ سويًّا على الاستقامَةِ، ومِنْهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [البقرة: 29][7]؛ أي: هيَّأَهُنَّ وخلقَهُنَّ ودبَّرهنَّ وقوَّمَهُنَّ[8]، وقولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾؛ أي: عَدَلَكَ وكَمَّلَكَ إنْسانًا ذَكَرًا بالِغًا مبلغَ الرِّجالِ[9].

5) ﴿رَجُلًا﴾: الرَّجُلُ: الذَّكَرُ البالِغُ مِنْ بني آدَمَ، ومِنْهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام: 9]، ومِنْهُ أيضًا قولُ اللّه تَعالى: ﴿ثُمَّ

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حور).
(2) الرّاغب، المفردات: (حور).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (نطف).
(4) الراغب، المفردات: (نطف).
(5) الواحدي، التفسير البسيط: 14/ 17.
(6) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سوي).
(7) الزَّبيديّ، تاج العروس: (سوو).
(8) ابن جرير، جامع البيان: 1/ 431.
(9) النَّسفيّ، مدارك التَّنزيل: 2/ 301.

سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾، ويُطْلَقُ أيضًا على ما يُقابِلُهُ مِنَ الجِنِّ، ومِنْهُ قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ [الجنّ: 6].

6) ﴿أَحَدًا﴾: (وحد) تَدُلُّ اشْتِقاقاتُها عَلى الانْفِرادِ، ومِنْ ذلك: الوَحدة، يُقال: هو واحِدُ قَبيلَتِهِ؛ إذا لم يكُنْ فيهِم نَظيرُه[1]، والأحَدُ فرْعُ الواحِد؛ فالهَمزَةُ مُنْقَلِبَةٌ عنِ الواو[2]، ولفظُ (أَحَد) إذا اسْتُعْمِلَ في النَّفْيِ؛ أفادَ اسْتِغْراقَ الجِنْسِ، مُتَناوِلًا القليلَ والكَثيرَ عَلى طريقِ الاجْتِماعِ والافْتِراقِ، كَقَوْلِهِم: ما في الدّارِ أحدٌ، أي: لا واحدٌ ولا اثْنانِ فصاعِدًا، لا مُجْتَمِعينَ ولا مُفْتَرِقين[3]، ومِنهُ قولُ اللّه ﷻ: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾؛ فإنَّ فيه نفيًا مستغرقًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

المُنْعِمُ بأَجْناسِ النِّعَمِ - ومنها الخلقُ والتّسويةُ - لا يَنْبَغي أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

قال الرَّجلُ المُؤْمِنُ لصاحِبِ الجَنَّتين وهو يُخاطِبُهُ واعِظًا لَهُ مُذكِّرًا إيّاه بأصلِ خلقِه مِن ترابٍ ثمَّ مِن ماءٍ مهين: كيفَ تَكْفُرُ باللّه الّذي خلقَ أباكَ آدمَ ﷺ مِنْ تُرابٍ، ثُمَّ أَنْشَأَكَ مِن نُطْفَةِ رجُلٍ وامرأةٍ، ثُمَّ عَدَلكَ بَشَرًا سويًّا رَجُلًا ذَكَرًا، أَكَفَرْتَ بمَنْ فعلَ بكَ هَذا أَن يُعيدَكَ خَلْقًا جَديدًا بَعْدَما تَصيرُ رُفاتًا؟! أمّا أنا فلا أَكْفُرُ برَبّي، ولا أقولُ بمَقالَتِكَ الدّالَّةِ على كُفْرِكَ، وإنَّما أقولُ: المُنْعِمُ المُتَفَضِّلُ هوَ اللّهُ رَبّي وحْدَهُ، ولا أُشْرِكُ معهُ في عِبادَتي لَهُ أحدًا غَيْرَهُ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دِلالَةُ الاسْتِئْنافِ في ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ﴾:

أَثَرُ الاسْتِئْنافِ البَيانيِّ، في إبْرازِ مُتابَعَةِ المُتَلَقّي وشَوْقِهِ

الجُملَةُ في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، مستأنفةٌ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وحد).
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (أحد).
(3) الراغب، المفردات: (أحد).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 23، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 298.

استئنافًا بيانيًّا؛ وذلكَ لأنَّها واردَةٌ جوابًا عن سُؤالٍ يُفهَم مِنَ الجُملَةِ التي قَبْلَها وهيَ قولُه: ﴿قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ۝٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾، فكأنَّهُ قيلَ: فما كانَ رَدُّ صاحِبِه المُؤمِن؟ فجاء الجوابُ في هذه الآيَةِ: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، ولذا تُرِكَ العطفُ بَيْنَهُما، كَما هو شَأْنُ أُسْلوبِ المُحاوَرَةِ والمُجاوبةِ[1].

الغَرَضُ مِنْ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ ﴿لَهُۥ﴾:

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿لَهُۥ﴾ على الفاعِلِ ﴿صَاحِبُهُۥ﴾ من قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ لإفادَةِ الاخْتِصاصِ اهْتِمامًا، أي: أنَّ هذا القولَ وجَّهَهُ لَهُ صاحِبُهُ المؤمِنُ لا لغيرِه، واختصاصُهُ صاحبَهُ بالكلامِ أمارةُ الاهتمامِ بمَضْمونِ الخِطابِ والمُحاوَرَةِ.

الاهْتِمامُ بمَضْمونِ الخِطابِ، في مَقامِ المُحاوَرَةِ

سِرُّ التَّعْبيرِ بالفاعِلِ ﴿صَاحِبُهُۥ﴾ مُضافًا:

جاءَ التَّعبيرُ عَنِ الفاعِلِ ﴿صَاحِبُهُۥ﴾ مُضافًا إلى الضَّمير الرّاجِعِ إلى صاحِبِ الجَنَّةِ في قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ للإيماء إلى أنَّ هذه المقالةَ ناشِئَةٌ عَنْ مَحْضِ نُصْحٍ لَهُ؛ لكَوْنِه صاحِبَهُ، وإن كانَ المُرادُ بها الإنكارَ عليْه فيما زَعَمَهُ.

إخْلاصُ النُّصْحِ في سِياقِ الإنْكارِ، من بليغِ السِّياقِ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالجُمْلَةِ الحاليَّة:

جملةُ ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ، وفائِدَتُها: التَّنْبيهُ مِن أوَّلِ الأَمرِ إلى أنَّ ما بَعْدَهُ مِنَ الكَلامِ المَسوقِ للمُحاوَرَةِ كلامٌ لَهُ أَهَمِّيَّةٌ وشأْنٌ يُعْتَنى بِه[2].

الاهْتِمامُ بشَأْنِ الكَلامِ، والاعْتِناءُ بِهِ، مِن بيانِ هذا السِّياقِ

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالخَبَرِ فِعْلًا مُضارِعًا:

جاءَتْ جُملةُ الحالِ اسْميَّةً ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾، ووَرَدَ الخَبَرُ فيها فِعْلًا مُضارِعًا ﴿يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ للدّلالَةِ عَلى التَّجدُّدِ والاسْتِمرارِ، وذَلِكَ فيه إيماءٌ إلى دَوامِ نُصْحِ صاحِبِه لَهُ ومُحاوَرَتِه إيّاهُ.

دَوامُ النُّصْحِ مِنْ شيَمِ أَهْلِ الإيمانِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 60، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 321.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 222.

الغرضُ منَ التّعبير بالاستِفْهامِ في ﴿أَكَفَرْتَ﴾:

المُشْرِكُ باللهِ تعالى حَريٌّ بالإنْكارِ عليْهِ وتَوْبيخِهِ

الجملةُ: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ إنشائيَّةٌ استفهاميَّةٌ؛ إذِ الهَمزَةُ في أوَّلِها للاستفْهامِ، وهَذا الاستفهامُ لا يُرادُ به حقيقتُهُ؛ وهو طلَبُ العِلْمِ بشَيْءٍ لَم يكُنْ معلومًا مِن قَبْلُ، وإنَّما هوَ مستعمَلٌ في مَعْنى الإنْكارِ والتَّعَجُّب والتَّوبيخِ، حيثُ أَشْرَكَ مَعَ اللهِ تَعالى غَيْرَه[1].

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالفاعِلِ ضَميرَ خِطابٍ في ﴿أَكَفَرْتَ﴾:

تَخْصيصُ الخِطابِ في التَّوْبيخِ، أَبْلَغُ في التَّقْريعِ والتّشنيع

في التَّعبيرِ بالفاعِلِ ضميرَ خِطابٍ ﴿أَكَفَرْتَ﴾ مِن جملة: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ تَخْصيصٌ لَهُ بخِطابِ الزَّجْرِ والتَّوبيخ، وذَلِكَ أَبْلَغُ في الرَّدِّ وأشَدُّ في التَّقْريع؛ لكَوْنِ ذَلِكَ واقِعًا عَلى جِهَةِ المواجَهةِ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالموصول:

المُتَفَرِّدُ بالخَلْقِ، هوَ المُسْتَحِقُّ للعِبادَةِ

في التَّعبيرِ بالجارِّ والمَجْرورِ اسْمًا موصولًا في جملة: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ نكاتٌ[2]: **إحداها**: الإشعارُ بعِلّيَّةِ ما في حيِّزِ صلةِ الموصولِ، والقصدُ مِن ذلك إنكارُ الكفر، والإيماءُ إلى دليلِ البعثِ الذي صَرَّح به القرآنُ الكريم في موضعٍ آخَرَ، وهو قولُ اللهِ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ﴾ [الحج: 5].

ثانيها: أَنَّ مضمونَ الصّلة مِن شأنه أن يَصرِفَ مَن يوقِنُ به عن الشِّرْكِ باللهِ تَعالى، وذلك لأنّهم يُقِرّون بأَنَّ اللهَ ﷻ هو الذي خَلَقَ النّاس، ومَن كانَ خالِقًا كانَ مُسْتَحِقًّا للعبادَةِ.

ثالثها: أَنَّ مَن علِمَ بالخلق الأوّلِ من شَأْنِه أن يصرفَ العبدَ عن إنكارِ الخَلْقِ الثّاني، كما قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: 15].

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 7/ 177، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 322.

(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 222، وابن عاشور، التّحرير والتنوير: 15/ 322.

رابِعُها: أنَّ في مضمون الصِّلَةِ تعريضًا بجهلِ المخاطَبِ؛ لأنَّ إعادةَ الخلق أهونُ من بدئِه، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: 27].

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿خَلَقَكَ﴾:

أَعْظَمُ الجُحودِ، جَحْدُ حَقِّ اللهِ تَعالى في أُلوهيَّتِهِ

في التَّعبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿خَلَقَكَ﴾ في جملة: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾؛ دلالَةٌ عَلى تحقُّقِ خَلْقِ اللهِ تعالى لَهُ وثبوتِ ذَلِك، وذلكَ أشدُّ في الإنْكارِ عَلى المُخاطَب؛ لأنَّه قَدْ تحقَّقَ مِنْهُ الكفرُ معَ تحقُّقِ خَلْقِ اللهِ تعالى لَهُ، وهَذا في غايَةِ الجُحودِ.

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بضَميرِ الخِطابِ في ﴿خَلَقَكَ﴾:

تَوْجيهُ خِطابِ الزَّجْرِ، أَبْلَغُ في التَّوْبيخِ وأَدْخَلُ في التَّقْريعِ

في التَّعبيرِ بالمفعولِ به ضميرَ خِطابٍ ﴿خَلَقَكَ﴾ من جملة: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ تَخْصيصٌ لَهُ بالخِطاب؛ لأنّ المقامَ مقامُ زجْرٍ وتوبيخٍ، فالمَعنى: الذي خَلقكَ أيُّها الجاحدُ المَعْنيُّ بالخطاب، واعتنى بكَ هذه العنايةَ البالغَةَ في الإيجادِ؛ قبيحٌ مِنْكَ أن يصدُرَ مِنْكَ كُفْرٌ به وجحودٌ له، فكان التَّعبيرُ بالخطابِ أَبْلَغَ في التَّقريعِ؛ لكَوْنِ ذَلِكَ واقِعًا عَلى جِهَةِ المواجَهةِ والتَّخصيص.

مَعْنى ﴿مِن﴾ ودِلالَتُها في قَوْلِهِ: ﴿مِن تُرَابٍ﴾:

بيانُ أثَرِ حُروفِ المعاني في إيضاحِ المرادِ

﴿مِن﴾ الجارّةُ في جملة: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ ابتدائيَّةٌ[1]، أي: أنَّ اللهَ ﷻ ابتدأ خَلْقَكَ بخَلقِ أَبيكَ آدمَ عليه السلام مِنْ تُرابٍ، كما قال الله تَعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾﴾ [آل عمران: 59].

الغرضُ من تَنْكيرِ لَفْظِ ﴿تُرَابٍ﴾:

بَيانُ القُدْرَةِ الإلَهيَّةِ في الخَلْقِ، مُنبئٌ بعظمةِ الخالقِ وإنعامِه

جيءَ بالمَجْرورِ اسْمًا منكَّرا في جملة: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾؛ لعَدَمِ المُقْتَضي لتَعْريفِ اللَّفْظِ بإِحْدى طُرُقِ التَّعريف، ولأنَّ تعريفَهُ باللّامِ قَد يوهِمُ إرادَةَ العَهْدِ، وأنَّه من ترابٍ معهودٍ خاصٍّ، ثُمَّ إنَّ في تنكيرِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 322.

لَفْظِ ﴿تُرَابٍ﴾ نوعَ تحقيرٍ لهذه المادَّة، مُسْتَلْزِمٍ تعظيمَ هَذا الخَلْقِ منَ الخالقِ القادرِ العظيم؛ إذْ إنَّه سبحانه خلَقَ مِنْ هذه المادَّةِ اليَسيرَةِ رَجُلًا سويًّا، وهَذا أَظْهَرُ في إبْرازِ القُدْرَةِ الإلَهيَّة.

مَعْنى ﴿ثُمَّ﴾ ودِلالَتُها في السّياق:

بيانُ أَثَرِ حُروفِ المَعاني، في إبْرازِ لَطائِفِ المَعاني

في جملة: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾، نجدُ حرفَ العطفِ ﴿ثُمَّ﴾ الدّالَّ عَلى التَّرتيبِ والتَّراخي، وفي إيرادِه إيماءٌ إلى الزَّمنِ المُمتَدِّ بينَ خلقِه مِن تُرابٍ وبينَ خَلْقِه مِن نُطْفَةٍ؛ إذِ الخَلْقُ مِنَ التُّرابِ حاصلٌ لآدمَ ﷺ فقولُهُ: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ﴾ أي: بالنَّظر إلى أَصْلِه، وهوَ آدمُ ﷺ والخلقُ مِنَ النُّطْفَةِ حاصلٌ لذُرِّيَّتِه مِنْ بعدِه، ومِنْ جُملَةِ الذُّرِّيَّة المخاطَبُ في هذه الآيةِ؛ وهوَ صاحِبُ الجَنَّتين، وبَيْنَهُما زمنٌ مُمتَدٌّ طويلٌ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالمَجْرورِ نَكِرَةً ﴿نُّطْفَةٍ﴾:

خَلْقُ الإنسان من ماء مهين دليلٌ على عظمة الخالق المقتدر

في التَّعبيرِ بالمَجْرورِ اسْمًا منكَّرا في جملة: ﴿خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾؛ دلالَةٌ على الإفرادِ، أي: خلقكَ اللّهُ تعالى مِنْ نُطفةٍ واحدَةٍ، وفي تنكيرِ ﴿نُّطْفَةٍ﴾ إيماءٌ إلى مَعْنى التَّحقيرِ لهذه النُّطْفَةِ، ولِذا جاءَ التَّعبيرُ عنها في موضعٍ آخرَ مِنَ القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠﴾ [المرسلات: 20]، وهذا التَّحقيرُ يَسْتَلْزِمُ تعظيمَ هذا الخَلْقِ؛ إذْ إنَّ اللّهَ تعالى خلقَ مِنْ هذه المادَّةِ المَهينَةِ بشرًا سويًّا، وهذا أَبْيَنُ في الدّلالَةِ عَلى القُدْرَةِ الإلهيَّة.

مَعْنى ﴿ثُمَّ﴾ ودِلالَتُها في السّياق:

بَيْنَ النُّطْفَةِ وتَسْويَةِ العَبْدِ رَجُلًا مَراحِلُ وأَطْوارٌ

﴿ثُمَّ﴾ في جملة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ حرفُ عطفٍ دالٌّ عَلى التَّرتيبِ والتَّراخي، وفي العَطْفِ به إيماءٌ إلى الوَقْتِ المُتَراخي بينَ خلقِه مِن نُطْفَةٍ وبينَ تَسْويَتِه رجلًا؛ إذْ بعدَ النُّطفةِ أطوارٌ من الخَلْقِ في بطنِ الأُمِّ، ثُمَّ بَعْدَ الولادَةِ مراحِلُ متعدِّدَةٌ إلى أن يصلَ العبدُ إلى الرُّجولَةِ.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿سَوَّىٰكَ﴾:

بُلوغُ الرَّجُلِ الكافِرِ مَبْلَغًا عَظيمًا في الجُحودِ

في التَّعبيرِ بالفِعْلِ الماضي ﴿سَوَّىٰكَ﴾ في جملة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ دلالَةٌ عَلى تحقُّقِ تَسْويَةِ اللهِ سبحانه لَهُ وثبوتِ ذَلِك، وذلكَ أشدُّ في الإنْكارِ عَلى المُخاطَب؛ لأنَّه تحقَّق مِنْهُ الكفرُ معَ تحقُّقِ هذه المِنَّةِ العظيمَةِ، وهي تسويتُهُ رجلًا، وهَذا أبلغُ في الدّلالَةِ على جُحودِ هَذا الرَّجُلِ.

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالمَفْعولِ به ضَميرَ خِطابٍ في ﴿سَوَّىٰكَ﴾:

بيانُ شَناعَةِ الكُفْرِ بالخالِقِ العَظيمِ

في التَّعبيرِ بالمفعولِ به ضميرَ خِطابٍ ﴿سَوَّىٰكَ﴾ من جملة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ تَخْصيصٌ لَهُ بالخِطاب؛ إذِ المَقامُ مقامُ توبيخٍ وزَجْرٍ، فالمَعنى: الذي خَلقكَ أيُّها الجاحدُ المَعْنيُّ بالخطابِ دونَ غيرك، واعتنى بكَ هذه العنايةَ البالغَةَ في الإيجادِ حتَّى صيَّركَ رجلًا سويًّا؛ قبيحٌ مِنْكَ أن يقَعَ مِنْكَ كُفْرٌ به وجحودٌ له، فكان التَّعبيرُ بالخطابِ أَبْلَغَ في التَّقريعِ والتَّوبيخِ؛ لكَوْنِ ذَلِكَ واقِعًا عَلى جِهَةِ التَّخصيصِ والمواجَهةِ.

مَوْقِعُ كَلِمَةِ ﴿رَجُلًا﴾، وسِرُّ تَنْكيرِها:

بَيانُ العَظَمَةِ الرَّبّانيَّةِ، في خَلْقِ الإنْسانِ، وإيجادِ البشريّة

في اخْتيارِ التَّعْبيرِ بلَفْظِ ﴿رَجُلًا﴾ مِنْ جملة: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ إشارَةٌ إلى العَظَمَةِ الرَّبّانيَّة في الخَلْقِ؛ ووقعت موقع الحال، إذِ الرُّجولَةُ مُنْتَهى قوَّةِ الإنسانِ، وفي تَنْكيرِها تَقْويَةٌ لهَذا المَعْنى؛ إذِ التَّنكيرُ دالٌّ عَلى التَّعْظيم، أَيْ: سَوّاكَ رَجُلًا ذا قَدْرٍ وكَرامَةٍ.

مَوْقِعُ جُملَةِ ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ مِمّا قَبْلَها:

بَيانُ الاعْتِقادِ الصَّحيحِ في الله سُبْحانَهُ

لمّا أنكرَ الرَّجلُ المُؤمِنُ عَلى الكافِرِ اعتقادَهُ الفاسدَ؛ بيَّنَ اعتقادَهُ الصحيحَ فقال اللهُ سبحانه حاكيًا مقالَتَهُ: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾، فكانَ خَبَرُه هَذا مُضادًّا لاعْتِقادِ صاحِبِه، وللتَّغايُرِ البيِّن بَيْنَ الجُملتَيْنِ وقَعَتْ ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ مَوْقِعَها، وفي إيرادِ هذه الجُملَةِ مصدَّرةً بـ ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ بعد الجملَةِ قَبْلَها إيماءٌ إلى أَنَّ الكُفْرَ باللهِ تَعالى يُقابِلُهُ الإيمانُ والتَّوحيدُ[1].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 61، والآلوسيّ، روح المعاني: 8/ 264.

مَعْنى ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ ودِلالَتُها في السّياق:

مُفادُها التَّصْريحُ بالاعْتِقادِ الحَقِّ، بَعْدَ إنْكارِ الاعْتِقادِ الباطِلِ

﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ حرفٌ دالٌّ على الاسْتِدْراكِ، وفي تَصْديرِ الجُمْلَةِ به في جملة: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ إيماءٌ إلى مُخالَفَةِ ما بَعْدَها لما قَبْلَها، وذلِكَ لأَنَّ ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ تَقَعُ بينَ كَلامَيْنِ مُتَغايِرَيْنِ، كَقَوْلِهِم: زيدٌ حاضرٌ، لَكِنْ عَمرٌو مُسافِرٌ، فكأنَّ المَعْنى: أَكَفَرْتَ باللهِ؟! لكنّي مؤمِنٌ موَحِّدٌ، فكانَ بَيْنَ الجُمْلَتَيْنِ مُغايَرَةٌ؛ وذلكَ لأَنَّ الأولى تَضَمَّنَتْ إنْكارًا للاعْتِقادِ الباطِلِ، وفي التّالِيَةِ تَصْريحٌ بالاعتِقادِ الحَقِّ[1].

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالمُسْنَدِ إلَيْه ضَميرَ تَكَلُّم:

بيانُ التَّصْريحِ بالمُخالَفَةِ، والمُبالَغَةِ في الإنْكارِ والمُعارَضَةِ

في التَّعبيرِ بالمُسْنَدِ إلَيْه ضميرَ تكلُّم في ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ من جملة: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ مبالغةٌ في الإنْكارِ وتَصْريحٌ بالمُخالَفَةِ؛ فإنَّ ضَميرِ التَّكلُّمِ أَعْرَفُ الضَّمائرِ عَلى الإطْلاقِ، فكانَ في التَّعْبيرِ به أظهرُ بَيانٍ في المُخالَفَةِ.

الغَرَضُ مِنَ التَّعْبيرِ بالمُسْنَد إليه الثّاني ﴿هُوَ﴾ ضَميرَ غَيْبَةٍ:

اللهُ ﷻ أَعْرَفُ المَعارِفِ

في التَّعبيرِ بالمُسْنَدِ إليه ضَميرَ غَيْبَةٍ ﴿هُوَ﴾ مِنْ جملة: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ إيماءٌ إلى أنَّ اللّهَ سُبحانَهُ أَعْرَفُ المَعارِفِ، فلا شَيْءَ أَظْهَرُ مِنْهُ، فـ﴿هُوَ﴾ الظّاهِرُ أَتَمَّ الظّهور فلا يَخْفى أَصْلًا، بحَيْثُ إنَّ الضَّمير يَكْفي في الدّلالَةِ عليْه دونَ الافْتِقارِ إلى التَّصريحِ باسْمِهِ[2].

سِرُّ الإضافَةِ إلى ياءِ المُتَكَلِّمِ ﴿رَبِّى﴾:

بَيانُ عَظيمِ إحْسانِ اللهِ تَعالى

في إضافَةِ اسْمِ الرَّبِّ إلى ضَميرِ المُتَكَلِّمِ في جملة: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ إيماءٌ إلى عَظيمِ إحْسانِه إلَيْه، واخْتِصاصِ ذَلِكَ باللهِ ﷻ، أَيْ: أَنَّهُ لَم يُحْسِنْ إلَيْه أحدٌ غيرُ اللهِ تَعالى ولَم يَرْزُقْهُ أحدٌ غيرُه[3].

(1) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 21/ 464، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 61.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 61.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 61.

دِلالَةُ الواوِ في ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ﴾:

إثْباتُ العُبوديَّةِ للـه تَـعـالى وحْـدَهُ، ونَفْيُ الإشْراكِ بِهِ

الواوُ في جملة: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدَها عَلى قَوْلِه قبلُ: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾، ووجهُ الوَصْلِ بَيْنَ الجُملَتَيْنِ: أنَّ بَيْنَهُما تَوَسُّطًا بَيْنَ الكَمالَيْنِ، وذَلِكَ لاشْتِراكِهما في الخَبَريَّةِ، وبينَهُما مُناسَبَةٌ؛ إذِ الجملةُ الأولى فيها إثْباتُ العُبوديَّةِ للّه تعالى وحْدَهُ، ولازِمُ ذلكَ تَرْكُ الإشْراكِ به، والجُمْلَةُ الثّانيَةُ فيها تَصْريحٌ بهذا اللّازِمِ، ولا يَضُرُّ المُخالَفَةُ بينَ الجُملَتَيْنِ في الاسْميَّةِ والفِعْليَّةِ؛ فإنَّ هذا ليسَ بلازِمٍ لصِحَّةِ العطفِ.

دِلالَةُ أَداةِ النَّفْيِ مع المضارِع ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ﴾:

نَـفْـيُ الإشْـراكِ بـاللـه تَـعـالى مُسْتَمِرٌّ دائِمٌ

في إيثارِ التَّعْبيرِ القُرْآنيِّ بحَرْفِ النَّفْيِ ﴿وَلَآ﴾ معَ الفِعْلِ المُضارِعِ، في قَوْلِه: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾، دلالَةٌ عَلى اسْتِمرارِ انْتِفاءِ الشِّرْكِ مِنْهُ؛ وذلكَ مِنْ وجْهَيْنِ: **أَحَدُهما**: أنَّ الفِعْلَ المُضارِعَ دالٌّ على التَّجدُّدِ والاسْتِمرارِ بالقَرائِنِ، **والآخر**: أنَّ (لا) النّافيَةَ، إذا سُلِّطت عَلى الفِعْلِ المُضارِعِ؛ لَم تُقَيِّدْهُ بزَمَنٍ مِنَ الأَزْمانِ عَلى الصَّحيحِ، فهوَ نَفْيٌ مُسْتَغْرِقٌ[1].

سرُّ تَقْديمِ ﴿بِرَبِّيٓ﴾، عَلى المَفْعولِ به ﴿أَحَدٗا﴾:

تَوْحيدُ الرُّبوبيَّةِ، يَسْتَلْزِمُ تَوْحيدَ الأُلوهيَّةِ

قُدِّمَ الجارُّ والمَجرورُ ﴿بِرَبِّيٓ﴾ عَلى المَفْعولِ به ﴿أَحَدٗا﴾ مِنْ جملة: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾ للعِنايَةِ بعُنْوانِ الرُّبوبيَّة، لكَوْنِها دليلًا على صِحَّةِ عدَمِ الإشْراكِ باللّه تَعالى؛ إذْ كَوْنُه سبحانه مُتَفَرِّدًا بالرُّبوبيَّة يَسْتَلْزِمُ إفْرادَهُ بالأُلوهيَّة والعُبوديَّةِ، وفي الاهْتِمامِ بعُنْوانِ الرُّبوبيَّةِ إيماءٌ إلى أنَّ مُجانَبَةَ الشِّرْكِ هو مُقْتَضى إحْسانِ اللّه تَعالى إلى العِبادِ، وأنَّ مُقارَفَةَ الشِّرْكِ مُخالِفٌ لهَذا الإحْسانِ الإلَهيِّ.

الغَرَضُ مِنْ وضْعِ المُظْهَرِ مَوْضِعَ المُضْمَرِ في ﴿بِرَبِّيٓ﴾:

في جملة: ﴿وَلَآ أُشۡرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾، وضعٌ للمُظْهَرِ مَوْضِعَ المُضْمَرِ؛

(1) فاضل السّامرائيّ، معاني النّحو: 4/ 581.

إذ إنَّ مُقْتَضى الظّاهر: (ولا أُشْرِكُ به أحدًا)، وذلكَ لتَقَدُّم ذِكْرِه صَريحًا في الجُملَةِ قَبْلَهُ: ﴿لَّكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾، والنُّكْتَةُ في ذَلِكَ تَكْرارُ التَّصريح بدَليلِ الأُلوهيَّةِ وهوَ الرُّبوبيَّةُ، والتَّذكيرُ بعُمومِ إحْسانِه سُبْحانَهُ إلى عِبادِه، والمَعْنى: لا أُشْرِكُ بربّي الذي أَحْسَنَ إلَيَّ أحدًا، كما أنَّهُ لَم يُشارِكْهُ في إحْسانِه إلَيَّ أحدٌ[1].

عُمومُ إحْسانِ اللهِ تَعالى إلى العِبادِ، من معنى السّياقِ المستفادِ

الغَرَضُ مِنْ تَنْكيرِ المَفْعولِ به ﴿أَحَدًا﴾:

نُكِّر المَفْعولُ به ﴿أَحَدًا﴾ مِنْ قول اللّه سُبحانَهُ: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾؛ لإفادَةِ العموم، وذلك لوقوع النَّكرةِ في سياقِ النَّفْي، وهَذا مِنَ الصّيَغِ المُفيدَةِ العُمومَ والاسْتِغْراقَ، والمَعْنى: لا أُشْرِكُ بربّي أيَّ أحدٍ كانَ، لا مَلَكًا مُقَرَّبًا، ولا نَبيًّا مُرْسَلًا، فضْلًا عَن غَيْرِهما.

نَفْيُ الشِّرْكِ باللهِ تَعالى نَفْيًا عامًّا

نُكْتَةُ إيثارِ التَّعْبيرِ بـ ﴿أَحَدًا﴾، دونَ (واحِدًا):

في إيثارِ النَّظْمِ القُرْآنيِّ بـ ﴿أَحَدًا﴾ دونَ (واحِدًا) مِن قَوْلِ اللّه تَعالى: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾؛ بيانٌ لكونِ الأحَدِ أبلغَ في النَّفْي مِنَ الواحِدِ، فكانَ لَفْظُ الأحَدِ أَنْسَبَ في سياقِ نَفْيِ الإشْراكِ باللّه تَعالى.

بَلاغَةُ التَّأْكيدِ في الآيَةِ الكَريمَةِ:

أَعْظَمُ المَطالِبِ الشَّرْعيَّة، تَوْحيدُ ربِّ البريّة

في الآيَةِ الكَريمَةِ: ﴿لَّكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾ أربعَةُ مُؤَكِّداتٍ؛ وهيَ: الجُملَةُ الاسْميَّةُ في ﴿لَّكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾، وضميرُ الشَّأنِ ﴿هُوَ﴾، وتعريفُ طَرَفَي الإسْناد ﴿ٱللَّهُ رَبِّي﴾ الدّالُّ عَلى قَصْرِ صِفَةِ الرُّبوبيَّة عَلى نَفْسِ المُتَكَلِّم قَصْرًا إضافيًّا بالنِّسْبَةِ لمُخاطَبِه، أَيْ: هو رَبّي دونَكَ؛ لكَوْنِكَ تَعْبُدُ غيرَهُ، والقصرُ ضربٌ مِنَ التَّأْكيدِ المُضاعَف، ثُم أُكِّد مضمونُ الجُملَةِ بقَوْلِه: ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾[2]، وهذا الحَشْدُ للمُؤَكِّدات مُلائِمٌ لعَظَمَةِ ما تَضَمَّنَتْهُ الجُملَةُ مِن

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 12/ 62.

(2) ابن عاشور، التّحرير والتنوير: 15/ 323.

اسْتِحْقاقِ اللّه تَعالى للعِبادَةِ، ونَفْيِ الإشْراكِ بِهِ، فإنَّ ذلكَ مِنْ أَعْظَمِ المَطالِبِ الشَّرعيَّةِ، بَلْ هوَ أَعْظَمُها.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

المُحاوَرَةُ والجِدالُ:

في الجِدالِ مَلْمَحُ الشِّدَّةِ، وفي الحِوارِ مَلْمَحُ الهُدوءِ

المُحاوَرةُ في اللُّغةِ: مُراجعَةُ الكلامِ، والجِدالُ: شِدَّةُ الخُصومَةِ واسْتِمرارُ مراجعَةِ الكلامِ، وحقيقَةُ الجِدالِ - كما قالَ الرّاغِبُ -: "المُفاوضَةُ عَلى سَبيلِ المُنازعَةِ والمُغالَبَة"[1].

ففي الجِدالِ مَلامحُ ثلاثَةٌ؛ وهيَ: الشِّدَّةُ، واستمرارُ مُراجعَةِ الكَلامِ، والقَصْدُ إلى قَهْرِ الخَصْمِ وغَلَبتِه غالبًا.

أمّا المُحاورَةُ؛ فلَيْسَ فيها مَعْنى الشِّدَّة الذي في الجِدالِ، ولِذا غايَرَ النَّظْمُ القُرْآنيُّ بينَ الجِدالِ والحِوارِ في قولِ اللّه تَعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: 1]، فسَمّى كلامَ المَرْأَةِ جِدالًا؛ لأنَّ المرأةَ ظَلَّتْ تُراجِعُ النَّبيَّ ﷺ الكلامَ مرّاتٍ عِدّةً، وهذا فيه ضَرْبٌ مِنَ الشِّدَّةِ، أمّا كَلامُهُما معًا فوصَفَهُ اللّهُ سُبحانه بالمُحاورَةِ في قولِه ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: 1]، مراعاةً لكَلامِ النَّبيِّ ﷺ[2].

فالجِدالُ فيه مَلْمَحُ الشِّدَّة، والحوارُ فيه ملمَحُ الهُدوء، ولذا عبَّر القرآنُ الكَريمُ بالحِوارِ في قَوْلِه سُبحانه: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾؛ لأنَّ الذي أَنْكَرَهُ المُخاطَبُ أمرٌ في غايَةِ الظُّهورِ، فلَم يَحْتَجْ صاحِبُهُ المُؤْمِنُ إلى كَثْرَةِ مُراجَعَةِ الكَلامِ معَهُ.

(1) الرّاغب، المفردات: (جدل).

(2) محمّد محمد داود، معجم الفروق الدّلاليّة في القرآن الكريم، ص: 178، 181.

الأَحَدُ والواحِدُ:

الـواحِـدُ هـوَ المُنْفَرِدُ بالذّاتِ، في عَـدَمِ المِـثْـلِ والنَّظيرِ

ذهبَ بعضُ أَهْلِ العربيَّةِ إلى أنَّ الواحِدَ والأَحَدَ بمعنًى واحدٍ[1]، ومالَ آخرونَ إلى التَّفريقِ بينَهما، وحاصِلُ الفَرْقِ يرْجِعُ إلى أَوْجهٍ[2]:

أحدُها: أنَّ الأحدَ أخصُّ مِنَ الواحِدِ، فكلُّ أحدٍ واحدٌ، وليس كلُّ واحدٍ أحدًا.

ثانيها: أنَّ الأَحَدَ أقْوى في النَّفْيِ، وذلك لأنَّك إذا قُلْتَ: فلانٌ لا يُقاوِمُهُ واحدٌ؛ جاز أن يُقال: ولكِنْ يُقاوِمُهُ اثنانِ، بخلافِ الأحدِ؛ فإنَّك إذا قلتَ: فلانٌ لا يُقاوِمُهُ أحدٌ، لَم يَجُزْ أَنْ تقولَ: لكِنْ يُقاوِمُهُ اثنانِ.

ثالثُها: أنَّ الواحِدَ هوَ المُنْفَرِدُ بالذّات في عَدم المِثْل والنَّظير، والأحدَ هو المُنْفَرِد بالمَعْنَى.

وذكرَ بعضُ أهلِ العِلْمِ **فرقًا آخرَ**، وهوَ أنَّ الواحد يُستعمَلُ في الإثباتِ، والأحدَ في النَّفْيِ[3]، وهذا الفرقُ فيه نظَرٌ، ويردُّه قولُ اللّه سُبحانَهُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: 1].

وفرَّق بينَهُما ثعلبٌ: بأنَّ الواحِدَ يَدْخُلُ في العَدَدِ، بخلافِ الأَحَدِ فإنَّهُ لا يَدْخُل فيهِ، إلّا أنَّ أبا حَيّان اعترضَ عليه بأَنَّهُ يصحُّ أن يقالَ: أَحَدٌ وعِشْرونَ ونحوُهُ، فدَخَلَهُ العدَدُ[4].

(1) الخليل، العين: (وحد).
(2) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 32/ 359 - 360، وابن الأثير، النّهاية في غريب الحديث والأثر: (وحد).
(3) الفخر الرازيّ، مفاتيح الغيب: 32/ 360.
(4) أبو حيان، البحر: 10/ 571، والقِنّوجي، فتح البيان: 15/ 447.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثلاثون،
سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 30 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-27-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 30 : المجلد الثلاثون، سورة الكهف من الآية 37 إلى سورة مريمَ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-27-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9725630 بتاريخ 2024/11/04م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»